أوجهها على هذا كيانات غير قابلة للمقارنة ويغلب على كل حضارة لون خاص يميزها عن غيرها ، وأن الحضارات باختلافها وجزئياتها يمكن أن يُنظر إليها من عدة اتجاهات ، كل اتجاه يمثل ركناً من أركانها .

نخلص مما سبق إلى أن الحضارة - فى مفهومها العام - هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية[1] . مع الوضع فى الاعتبار ما تتميز به كل حضارة عن الأخرى، وخاصة ما قطعته كل أمة من شوط فى سبيل تحقيق حضارتها . فالحضارة إذن لها شقان : مادى ومعنوى ، وهى رقى فى كل مجالات الحياة رقياً يُنشئ حياة مستقرة متقدمة فى شتى مناحيها .

٢- مفهوم الثقافة :

إن تاريخ الإنسان البيولوجى قصة تلاقٍ وتواصل وتجمع ، كذلك تاريخه الثقافى . والإنسان محكوم عليه بالتجمع والتواصل لأنهما فى أصل وجوده وفى طبائع تكوينه ، ثم هما بعد ذلك متكاملان عضوياً ووظيفياً فلا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر فلا تجمُّع اجتماعياً دون تواصل ولا تواصل اجتماعياً دون تجمع ، وكما يستحيل تصور اليد حية منفصلة عن الجسم كذلك يستحيل تصور الإنسان منفصلاً عن المجتمع ، فالإنسان بطبيعته حيوان سياسى ، أى مدنى ، أى أنه لا يمكن فصل الإنسان عن الحياة الاجتماعية ، ولا يتهيأ فهمه معزولاً عنها[2] .

ويرى رالف لنتون Relphlinton أن الثقافة ابتدأت منذ أن بدأ الإنسان يستعمل اللغة ، فهى أداة الاتصال ، وأهم أدوارها بناء الإرث البشرى الاجتماعى الذى هو عبارة عن الأفكار والعادات والوسائل الفنية المميزة لكل مجتمع والتى تتناول عبر الأجيال[3] .

وقد اختلف علماء الاجتماع فى وضع تعريف محدد للثقافة إلا أنهم اتفقوا على وجود بعض العناصر المكّونة للثقافة كالدين والفن والقانون فى معظم الثقافات ، وحيث إن الثقافات وجدت منذ العصر الحجرى فهى موجودة فى كل المجتمعات باختلاف درجة تحضُّرها .

فالثقافة كالسلوك ظاهرة سيكولوجية يمكن ملاحظتها .

والسلوك الثقافى يحتوى على كل الألفاظ الفكرية والعمومية التى يتعلَّمها الإنسان وتنتقل من جيل إلى جيل خلال عملية التعلُّم .

---

(١) الحضارة . د. حسين مؤنس ، ص ١٣ .

(٢) تمهيد فى علم الاجتماع ، د. عبد الكريم اليافى، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٧ م، المقدمة ، ص ٣٠ .

(٣) دراسة الإنسان ، رالف لنتون ، ترجمة عبد الملك الناشف ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٤ م ، ص ٩٩ .

ويعرِّف مالينوفسكى الثقافة بأنها عبارة عن مجموعة من الأدوات بالإضافة إلى العادات والأفكار التى تعمل مباشرة أو غير مباشرة لإشباع حاجات الإنسان . وكذلك تشتمل الثقافة على النظم الاقتصادية والقانون بالإضافة إلى السحر والدين والفنون واللغة .

ويرى مالينوفسكى أنَّ الثقافة تولد أساساً لإشباع احتياجات الإنسان البيولوجية فهى فى جوهرها عبارة عن مجموعة من الوسائل التى يصبح الإنسان بفضلها فى موقف أفضل لمجابهة المشاكل القائمة المعينة التى يقابلها فى بيئته خلال إشباعه لاحتياجاته[١] .

وقد قسَّم علماء الاجتماع الثقافة إلى قسمين :

الثقافة المادية Material Culture والثقافة اللامادية Non material Culture :

بحيث تشمل الثقافة المادية كل ما يصنعه الإنسان فى حياته العامة وكل ما ينتجه العمل البشرى من أشياء ملموسة ، وكذلك كل ما يحصل عليه الإنسان عن طريق استخدام الفنون التكنولوجية . بينما الثقافة اللامادية هى مظاهر السلوك التى تتمثل فى العادات والتقاليد والتى تعبر عن المُثُل والقيم والأفكار والمعتقدات . فالثقافة المادية إحدى الجوانب الهامة فى مكونات الثقافة وتتكون هذه الماديات من سائر الأشياء التى يملكها ويستخدمها أفراد مجتمع ما[٢] .

وتعتبر أدوات الثقافة المادية «معملاً» تتشكل فيه كل الانعكاسات والاتجاهات الانفعالية للكائن الحى ، ويمكن أن تعتمد دراسة الثقافة اللامادية على معرفتنا بالثقافة المادية ، فمن السهل أن نتعرف على أساليب حياة الناس من خلال تحليل ثقافتهم المادية .

وهذا يدعو إلى الاهتمام بدراسة الأنماط التكنولوجية الموجودة فى المجتمع سواء كانت هذه الأنماط التكنولوجية بدائية أو متقدِّمة ، وتعتبر الأدوات التكنولوجية عنصراً من العناصر الهامة التى تميز الحياة البشرية عن مجتمعات الكائنات الأخرى كمجتمعات النمل والنحل ، ومن ثَمَّ تمثل وسائل الانتاج وأساليبه والأدوات المصنوعة جانباً هاماً من جوانب الثقافة الإنسانية تتأثر وتؤثر فى غيرها من الجوانب الأخرى ، وأهميتها تظهر فى أنها مرتبطة بالأنساق الفكرية والأخلاقية والنظم الدينية بالإضافة إلى إدراك أهميتها للانتاج ، والثقافة اللامادية تعتبر الجزء الأساس من مكونات الثقافة وتبدو مظاهر الثقافة اللامادية فى الأنماط التى تظهر فى التقاليد الاجتماعية وفى المعرفة والأفكار والمعتقدات

(١) الالتقاء الحضارى وأثره فى تغير البناء الاجتماعى للأسرة - رسالة ماجستير ، إعداد جهينة سلطان العبسى ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٩ .

(٢) الالتقاء الحضارى وأثره فى تغير البناء الاجتماعى للأسرة ، ص ١٤ .

والقيم والمشاعر، وتتركز بصفة خاصة فى الأفكار والمعايير بما تنطوى عليه من طرق ووسائل شعبية وآداب جماعية وسنن وأعراف اجتماعية[١] .

٣ - الفرق بين الحضارة والثقافة :

تعود كلمة ثقافة Culture إلى اللاتينية ، وذلك أن كلمة Culture اللاتينية كانت تعنى : حرث الأرض وتنميتها ، ومن هنا قالوا Agriculture إصلاح الأرض وزراعتها[٢] .

ولعل شيشرون أول من استخدمها بمعناها المجازى الذى شاع فيما بعد حين أطلق على الفلسفة Mentiscultura أى زراعة العقل وتنميته ، وقد استعملت فى الأدب اللاتينى المسيحى فى معنى تهذيب الروح Cultura Animi[٣] .

وفى عصر النهضة الأوربية كانوا يستعملون اللفظ للفنون والأدب فيقولون Cultura Bonorum Artium أى ثقافة الفنون الجميلة ، وذلك بعدما استعار فولتير وأقرانه من المفكرين الفرنسيين استخدام شيشرون المجازى حتى باتت الكلمة تعنى تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة ، ومن الفرنسية انتقلت الكلمة بمعناها الجديد إلى الألمانية والإنجليزية وسائر اللغات الأوربية[٤] .

أما هذا اللفظ فيرتدُّ فى اللغة العربية إلى التثقيف وهو يحمل معنى التحويل والإصلاح والتهذيب، فيقول صاحب اللسان : ثَقَفَ الشيءَ ثَقْفاً وثقافاً وثَقُوفةً : حَذَقَه ، ورجل ثَقْف وثَقَف وثَقُف: حاذق فاهم ، ويقول ابن السكِّيت : رجل ثَقْف لَقْف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به ، ويُقال: ثَقِف الشئ وهو سرعة التعلُّم ، وثَقُف الرجل ثَقافةً أى صار حاذقاً خفيفاً[٥] .

وهذا التعريف يجعله قريباً من المعنى الأصلى لكلمة Cultura اللاتينية ، وقد تطور المصطلحان العربيان - حضارة وثقافة - تطوراً مماثلاً لنظيريهما فى اللغات الأوربية .

ومنذ أيام الرومان ارتبط معنى الثقافة بمعنى الإنسانيات ، فالثقافة عندهم تطلق على الإنسانيات من أدب ولغة ونحو ومنطق وفلسفة دون العلوم .

وفى القرن التاسع عشر أعاد فلاسفة الألمان النظر فى معنى اللفظ واستعمالاته واعترضوا على الكثير من المعانى التى تُستعمل فيها مثل استعمال جون لوك لها فى معنى «تربية الصغار» ، ورجعوا

(١) دراسات أنثروبولوجية ، د. أحمد الخشاب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٦٨-٧٠ .
(٢) معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ .
(٣) الحضارة ، ص ٣٦٨ .
(٤) معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ .
(٥) اللسان ١/ ٤٩٢ .